طرائق التدريس وسبل تنزيلها في تدريس العلوم الشرعية

"تدريس الفقه نموذجا"

الأستاذ التهامي البوبكري

جامعة محمد الخامس بالرباط

المغرب

تمهيد:

تعتبر طرائق التدريس من العناصر الأساسية في العملية التعليمية التعلمية، لأنها تساعد المدرس على بلوغ وتحقيق الكفايات المستهدفة من المادة المدرسة، وتجعل الممارسة التدريسية قائمة على الدقة والتنظيم والتخطيط بدل الارتجالية والعشوائية. وطرائق التدريس بصيغة الجمع فيها إشارة واضحة إلى ضرورة تنويعها أثناء الممارسة التدريسية، بدل التنميط والاعتماد على واحدة منها في أغلب الدروس. ويعد تحفيز وتشجيع المتعلمين على المشاركة الفعالة والتفاعل الإيجابي مع المدرس في بناء التعلمات، من أبرز مزايا تنويع طرائق التدريس، بحيث ينتقل المتعلم من المتلقي والمستهلك إلى المنتج والمشارك في بناء التعلمات، وتحقيق هذه الغاية يقتضي من المدرس بذل جهد كبير في إعادة ترتيب المادة المدرسة بطريقة سهلة وواضحة، بحيث ينقلها من المستوى التعليمي إلى المستوى التعلمي، كما يتطلب اجتهادا في اختيار الطرائق أو الطريقة المناسبة لطبيعة المادة أو الموضوع المدرس، وطبيعة الفئة المستهدفة.

إن ضعف الحافزية لدى المتعلمين في تعلم مجموعة من المواد أو العلوم، وشعورهم بالملل والرتابة، راجع بالأساس إلى تنميط طريقة التدريس من طرف المدرس وعدم تنويعها، وتعتبر العلوم الشرعية عموما وعلم الفقه على وجه الخصوص من ضمن المواد أو العلوم التي يطرح فيها هذا الإشكال بشكل كبير. فما هي تجليات أو سبل تنزيل وتنويع طرائق التدريس في تدريس الفقه؟

وللإجابة عن هذا الإشكال، وبيان سبل تنزيل طرائق التدريس في تدريس الفقه، سأتناول هذا الموضوع من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: بيان معاني المصطلحات الأساسية:

1. مفهوم طرائق التدريس والمفاهيم المجاورة لها؛
2. العلوم الشرعية؛
3. تدريس الفقه؛

. المحور الثاني: طرائق التدريس وسبل تنزيلها في الدرس الفقهي:

1. الطريقة الإلقائية.
2. الطريقة الحوارية.
3. الطريقة الاستنباطية.
4. الطريقة العملية.
5. طريقة التعلم بالاحداث.
6. طريقة حل المشكلات.
7. الطريقة الاستقرائية.
8. طريقة العصف الذهني.
9. الطريقة التجريبية.

خلاصة.

المحور الأول: بيان معاني المصطلحات الأساسية:

1. مفهوم طرائق التدريس لغة واصطلاحا والمفاهيم المجاورة لها:

أ- مصطلح الطرائق لغة: جاء في لسان العرب: " الطريق هو السبيل... قال تعالى: ﴿**وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**﴾ [طه: 62]، والطارق السالك للطريق... والطريقة: السيرة، وطريقة الرجل: مذهبه...**والطريقة جمعها طرائق**..."[1]، يتبين من كلام ابن المنظور أن طرائق مفرده طريقة، وبالتالي فطريقة التدريس جمعها طرائق التدريس. والطريق هو السبيل الذي نسلكه، وجمعه أطرقة وطرق، ومن هنا يتضح للمتأمل الفرق بين **الطريقة/طرائق، والطريق/طرق**، أن الطريقة ترتبط بما هو معنوي، والطريق يرتبط بما هو حسي نسلكه ونتبعه.

ب-مصطلح التدريس لغة: يقال: "درست العلم درسا أي قرأته."[2]، وأيضا: (درس الكتاب درسا ودراسة): أقبل عليه يقرأه ليحفظه. (درس وأدرس فلانا الكتاب): جعله يدرسه. أيضا: (تدارس الطلبة الكتاب): قرأه كل منهم على الآخر"[3].

مما سبق يتضح أن (طريقة التدريس لغة): كل مسلك يسلكه المعلم المربي لإزالة الجهل وإحداث العلم والمعرفة والخبرة والإحاطة بالشيء ومن ثم إحداث اليقين عند المتعلم.

ج-التعريف الاصطلاحي لطريقة التدريس:

تعددت التعاريف الاصطلاحية لطريقة التدريس من قبل التربويين حسب وجهات نظرهم، ومن هذه التعاريف نختار ما يلي:

1 - هي **الأسلوب** الذي يستخدمه المعلم في معالجة النشاط التعليمي ليحقق وصول المعارف بأيسر الطرق وأقل الوقت والنفقات، أو الخطة التي ينتجها المدرسون مع تلاميذهم للوصول بهم إلى الغاية المقصودة من تربيتهم وتعليمهم.[4]

2- هي **طرق واستراتيجيات** تدريسية يقوم بها المدرس ويستعمل وسائل تعليمية تزيد من فعالية تلك الطرق والاستراتيجيات، حيث يقوم المدرس من خلالها بنشاط مقصود يهدف إلى ترجمة الهدف التعليمي إلى موقف وإلى خبرة يتفاعل معها التلميذ، ويكتسب من نتائجها السلوك المنشود.[5]

3- هي العملية التي يعد فيها المعلم الخطوات الضرورية لعملية التدريس من أجل تحقيق الأهداف، و**الطريقة** المناسبة هي أيسر السبل لتحقيق الأهداف وبالتالي تحقيق التعلم.[6]

د. الفرق بين طريقة التدريس وأسلوب التدريس واستراتيجية التدريس:

من خلال هذه التعريفات وغيرها يلاحظ أن هناك تداخلا بين المفاهيم التالية وهي: **الطريقة– الأسلوب – الاستراتيجية**، لدى الكثير من التربويين، لأن منهم من يراها مرادفات لمفهوم واحد هو طرائق التدريس، بينما يرى آخرون أن هناك حدودا فاصلة بين الطرائق والأساليب والاستراتيجيات، فجعلوا لكل منها تعريفا خاصا.

أ–طريقة التدريس: "يقصد بها الطريقة التي يستخدمها المعلم في توصيل محتوى المنهج للتلميذ أثناء قيامه بالعملية التعليمية التعلمية، والطريقة بهذا المعنى يكون لها مواصفات يمكن لأي معلم أن يقوم بالتدريس بالطريقة أو الطرائق التي يرغب في اتباعها، بحيث تتناسب مع طبيعة المحتوى المراد تقديمه لمجموعة من التلاميذ."[7] ويقصد بها أيضا : "مجموعة من الخطوات والإجراءات التي تتبع في تدبير الدرس، منذ مرحلة التخطيط مرورا بمرحلة التنفيذ، ووصولا إلى مرحلة التقويم، وهي خطوات إجرائية عامة يمكن أن تطبق في مختلف المواد ومن قبل كافة المدرسين"[8]

فمن خلال هذين التعريفين **نستنتج أن طريقة التدريس هي** ما يتبعه المدرس من خطوات مترابطة في جميع مراحل الدرس، لتحقيق هدف أو أهداف تعليمية محددة، حيث يمكن لأي مدرس اتباعها أي أنها نمطية.

ب– أسلوب التدريس: هو "الكيفية التي يتناول بها المعلم طريقة التدريس أثناء قيامه بعملية التدريس، أو هو الأسلوب الذي يتبعه المعلم في تنفيذ طريقة التدريس بصورة تميزه عن غيره من المعلمين الذين يستخدمون نفس الطريقة، ومن ثم يرتبط بصورة أساسية بالخصائص الشخصية للمعلم".[9]

يمكن أن نستخلص من خلال هذا الكلام أن أسلوب التدريس هو الطريقة التي يطبق بها المدرس طريقة من طرائق التدريس، وهو كذلك مجموعة من الأنماط التدريسية الخاصة بالمعلم والمفضلة لديه، أي أننا قد نجد أسلوب التدريس لدى معلم يختلف عنه لدى معلم آخر رغم أن الطريقة المتبعة واحدة، وبتوضيح أدق فإن أسلوب التدريس يرتبط ارتباطا وثيقا بالخصائص الشخصية للمدرس وطبيعة الثقافة التي ينهل منها، أي أنه لا يتصف بالنمطية على خلاف طريقة التدريس.

ج– استراتيجية التدريس: يقصد باستراتيجية التدريس" تحركات المعلم داخل الصف التي تحدث بشكل منتظم، ومتسلسل، والتي تهدف إلى تحقيق الأهداف التدريسية المعدة سلفا."[10]. وتعرف أيضا بكونها: "خطة منظمة متكاملة تراعي كافة البدائل والإمكانات الموجودة لتنفيذ أهداف تربوية محددة... وهي أشمل من الطريقة والأسلوب."[11]

يتضح من هذا التعريف أن المعلم رغم أنه يسير وفقا لأسلوبه الخاص بالتدريس لتنفيذ طريقة التدريس المرغوب في اتباعها إلا أنه يتبع استراتيجية محددة الخطوات يسير وفقها لتنفيذ أهداف الدرس، كما تؤكد هذه التعاريف أن

استراتيجيات التدريس ما هي إلا إجراءات تدريسية محددة مسبقا قبل الشروع في عرض الدرس، مما يعني أنها تحتاج إلى تخطيط مسبق من المعلم، كما يؤكد التعريف الآنف الذكر أن الاستراتيجيات أشمل من الطريقة والأسلوب.

2. معنى العلوم الشرعية لغة واصطلاحا

أ. تعريف العلوم لغة واصطلاحا.

1-تعريف العلوم في اللغة: جمع عِلْمٍ من عَلِمَ يعْلَمُ علمًا. قال ابن فارس وهو يبيّن أصل هذه المادة: "العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلّ على أثرٍ بالشيء يتميّز به عن غيره...والعلم نقيض الجهل."[12]

وورد في المصباح المنير:" العلم: اليقين، يقال علم يعلم إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً، كما جاءت بمعناه، ضُمِّن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقاً بالجهل."[13]

فمن التعريفين نستخلص أن العلم من الناحية اللغوية يدل على: العلامة، واليقين، والمعرفة، وأنه نقيض الجهل.

2-العلم في الاصطلاح: "هو الاعتقاد الجازم المطابق لما في الواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل هو زوال الخفاء من المجهول، والجهل نقيضه، وقيل هو مستغن عن التعريف، وقيل: العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل وصول النفس إلى معنى الشيء...."[14]

يتبين من خلال تعريف الجرجاني للعلم، أن للعلماء عبارات مختلفة في تعريف العلم منها:

- الاعتقاد الجازم المطابق لما في الواقع.
- حصول صورة الشيء في العقل.
- إدراك الشيء على ما هو به.
- زوال الخفاء من المجهول.
- العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات.
- وصول النفس إلى معنى الشيء.

وخلاصة هذه الأقوال: إن العلم هو إدراك الشيء المعلوم على ما هو عليه إدراكاً حقيقياً مطابقاً للواقع.

ب. تعريف الشرعية لغة واصطلاحا.

1- الشرعية من الشرع، والشرع في اللغة: عبارة عن البيان والإظهار، يقال شرع الله كذا أي جعله طريقا ومذهبا ومنه المشرعة[15]، ومن خلا ل هذا التعريف يتبين أن الشرعية من الشرع وهو: ما شرعه الله لعباده وبينه وأوضحه، وهو نفس معنى الشريعة التي تدل على الطريقة في اللغة.

2-اصطلاحا: فالشرعية من الشرع، ويقصد به الشريعة الإسلامية، وهو ما تفرع عن القرآن الكريم والسنة النبوية.

وبالتالي فإن هذا المركب "**العلوم الشرعية**": هي العلوم التي تفرعت عن الكتاب والسنة وإجماع علماء الشرع، كالعقيدة، والفقه، والقرآن وعلومه، والحديث وعلومه، واللغة العربية وفروعها وغيرها من العلوم الشرعية.

هذا، ويمكن تقسيم العلوم الشرعية إلى قسمين أساسين:

–العلوم الأساسية أو الأصلية: كالعقيدة، والفقه، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث.

–العلوم الآلية أو المساعدة: كاللغة العربية، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية...

والعلم الشرعي الذي سنركز عليه في هذه الدراسة، والذي يتضح من خلال عنوانها، هو علم الفقه، الذي يعتبر من العلوم الأساسية ضمن العلوم الشرعية.

3 . تعريف الفقه لغة واصطلاحا.

أ–تعريف الفقه لغة: الفقه لغة يأتي بمعنى العلم بالشيء والفهم له.

قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (26) يَفْقَهُوا قَوْلِي (27)**﴾ [طه:26. 27] ، وكذلك يأتي بمعنى دقة الفهم، ولطف الإدراك، ومعرفة غرض المتكلم من كلامه، قال تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** ﴾، [هود:91]وقال تعالى: ﴿ **فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾[النساء:78].

ب–المعنى الاصطلاحي للفقه: عرف الفقه بتعريفات كثيرة ومن المحاسن قول الإمام أبي حنيفة –رحمه الله–: "الفقه معرفة النفس مالها وما عليها"[16]

وعرفه الآمدي بقوله: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية"[17].

ويمكن بيان وتوضيح عناصر التعريف الاصطلاحي للفقه كما يلي:

العلم: هي إدراك الأشياء أو المعلومات، والإحاطة بها سواء كانت يقينية قطعية أو ظنية.

الأحكام: هي ما يثبت للمكلفين من وجوب، وندب، وحرمة، وكراهة، أو إباحة أو صحة أو فساد أو بطلان.

وقد قيدت هذه الأحكام بما يلي:

- كونها: " **شرعية**" حتى يخرج منها الأحكام " العقلية" كالعلم أن الواحد نصف الاثنين، وأن العالم حادث.
- وأيضاً يخرج منها: الأحكام "الحسية" والثابتة بالحس كالعلم بأن النار محرقة. ويخرج منها: الأحكام الثابتة " بالتجربة" كالعلم بأن السم قاتل.
- وتخرج كذلك: الأحكام " الوضعية": والتي هي من وضع البشر مثل العلم بأن كان وأخواتها ترفع المبتدأ وتنصب الخبر .

العملية: أي التي تتعلق بأعمال الناس وتصرفاتهم (كالصلاة والصيام والبيع والشراء) فخرجت بذلك الأحكام الشرعية العقائدية كعلم بأن الله واحد، وكإثبات أسماء وصفات الله.

المكتسبة: أي أن هذه المعرفة بالأحكام الشرعية مأخوذة بسبب النظر في الأدلة والاستنباط والاجتهاد.

فخرج بقيد (المكتسبة):

- معرفة علم الله، لأنه لا يوصف بأنه أخذ من الأدلة.
- علم الأنبياء، بالأحكام من غير اجتهاد (الوحي)، وأما علم الأنبياء الحاصل عن نظر واجتهاد فهو
- علم مكتسب.
- علم الملائكة، لأنه مأخوذ من اللوح المحفوظ.
- علم المقلد، لأنه أخذه من المجتهد.

من أدلتها التفصيلية: وقيدت أيضاً بكونها " مكتسبة من الأدلة التفصيلية": أي مستفادة عن طريق النظر والاستدلال من دلائل الشرع المتمثلة في الكتاب والسنة، ومما هو مقيس عليهما بالاجتهاد والرأي.

المحور الثاني: سبل تنزيل طرائق التدريس في الدرس الفقهي.

تمهيد:

بعدما وقفت في المحور الأول عند المعاني اللغوية والاصطلاحية للمفاهيم الأساسية في هذه الدراسة، سأتناول في هذا المحور أهم الطرائق التي يمكن اتباعها وسبل تنزيلها في جامعتنا ومؤسساتنا التعليمية، من أجل النهوض بالدراسات الفقهية إلى المستوى الذي يليق بها، لأن طرائق التدريس تهدف بشكل عام إلى تنظيم المواقف التعليمية، وتنمية القدرة على التعلم، وتمكين المتعلمين من ممارسته اعتمادا على مجهوداتهم الذاتية لتنمية شخصياتهم وقدراتهم. كما أن حسن توظيفها وتنويعها يمكّن من الارتقاء بتدريس الفقه في الجامعات، ليصبح هذا العلم في المستوى الذي يواجه التحديات التي ألمت بالأمة الإسلامية.

ومن الطرائق التي يمكن اعتمادها ولها آثار إيجابية في تدريس الفقه ما يلي:

✷ **أولا: الطريقة الإلقائية في تدريس الفقه**

فهذه الطريقة تعتمد على المدرس، فهو الذي يهيمن على سير الدرس، ويقدم المعلومات ويعرض المشكلات وحلولها، يلقي ويحاضر وحده دون تفاعل مع الطلبة أو المتعلمين، ويقتصر دور المتعلم على الاستماع والتسجيل والتلقي؛ أي أن تركيزها ينصب على حشو أدمغة الطلبة بالمعلومات، كما أنها الأكثر شيوعا في المؤسسات التعليمية. وبالرغم من تركيز هذه الطريقة على المدرس والمحتوى، **فإن الطرائق الحديثة لم تستطع زحزحتها عن مكانتها، وذلك لما لها من مزايا على العملية التعليمية التعلمية**، والتي من أبرزها:

- "تضمن للطالب قدرا معينا من المعارف الفقهية تمكنه من النجاح.

- تنقل المعارف والمعلومات إلى عدد كبير من المتعلمين.
- توفر الوقت وتختصر المسافة للمتعلم، فليس من السهل أن يصل كل متعلم إلى المصادر التي يستعين بها المحاضر الذي لديه خبرة واسعة في مجال تخصصه."[18]

لكن تحقيق هذه المزايا وغيرها يقتضي أو يتطلب مجموعة من الضوابط منها:

- ✓ أن يكون المدرس متمكنا من المادة العلمية التي يدرسها.
- ✓ أن يركز الأستاذ على جمع شتات الفقه، وتقديم البناء المتكامل كي يدرك الطالب العلاقة بين أجزائه.
- ✓ أن يكون التلقين بشكل متدرج ومتسلسل للمسائل الفقهية مع مراعاة الفروق الفردية بين التعلمين.
- ✓ أن يكون التلقين مناصفة بين الأستاذ والطالب؛ الأول يجتهد في إتقان الإلقاء، والثاني في إحكام التحمل والتلقي أي: الإفهام من الأول والفهم من الثاني.
- ✓ أن ينزل الأستاذ من برجه العالي المتمثل في إظهار تمكنه واقتداره المنهجي واللغوي والنظر إلى إعجاب الطلبة به، **إلى إفادة الطلبة وإشراكهم**، لأن نجاح الأستاذ في عملية التعليم لا يستلزم بالضرورة نجاح الطالب في عملية التعلم.

ومما يبرز أهميتها ما أشار إليه الشاطبي (ت 790هـ) حيث قال:"...وإذا ثبت أنه لابد من أخذ العلم عن أهله فلذلك طريقان: أحدهما المشافهة وهي أنفع الطريقين وأسلمهما...فكم من مسألة يقرأها المتعلم في كتاب ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها. فإذا **ألقاها** عليه المعلم فهمها بغتة، وحصل له العلم بالحضرة..."[19]، فكلام الشاطبي يبين بجلاء أهمية الطريقة الإلقائية في تحقيق الفهم ودور المعلم في ذلك، لذا فإن العديد من المسائل الفقهية لا يمكن للطالب أن يفهمها وحده بل لابد من توضيح الأستاذ أو الشيخ، أما إذا كان عدد الطلبة كثيرا كما هو الشأن في جامعتنا فإنه لا سبيل للبيان والتوضيح وتحقيق الفهم-أمام الاكتظاظ، وقلة الوقت المخصص للمادة، وطول المقررات- إلا من خلال المحاضرة التي تعتبر أسلوبا من أساليب الإلقاء.

✷ ثانيا: الطريقة الحوارية في تدريس الفقه.

إن الطريقة الحوارية طريقة حيوية، لأنها تنتقل بالمتعلم من موقع المشاهد أو المستمع إلى المشارك في الموقف التعليمي، فهي تحفز المتعلمين على التعلم وتطوير القدرات وصياغة الأفكار فيترتب عن ذلك استيعاب وفهم المسائل الفقهية لأنه من المعلوم أن المتعلم إذا شارك في بناء المعلومة بمعية مدرسه، إلا وترسخت لديه لمدة أطول بالمقارنة مع

الحالة التي يكون فيها مجرد مستقبل لما ينقله إليه مدرسه، وفي هذا السياق يقول **الزرنوجي** (ت591هـ) :"إن قضاء ساعة واحدة في المناقشة خير من قضاء شهر بأكمله في الحفظ والتكرار"[20].

ويمكن القول إن هذه الطريقة مكملة لطريقة الإلقاء ومدعمة لنتائجها، لأن التدريس بالحوار والمناقشة يستلزم توفر الخلفية المعرفية لدى الطلاب حول الموضوع الذي ستتم مناقشته، وعند تعذر ذلك يتم ربط استخدام الحوار والنقاش بالطريقة الإلقائية حتى يكتسب الطلاب المحتوى المعرفي الجديد، وعلى ضوئه يتم الحوار والمناقشة.

إن الطريقة الحوارية يضمن بها الأستاذ مشاركة المتعلم في الدرس، وبها يتجدد نشاطه وتبعده عن السآمة والملل وتثير انتباهه للحقائق المراد الوصول إليها، كما تشعره بالاستقلال الذاتي، وبالتالي يثبت ذاته من خلال الاعتماد على نفسه، وينمو لديه الشعور بالثقة في النفس.

ومن مزايا هذه الطريقة أنها تجعل التعلمات أو المكتسبات الفقهية، المتوصل إليها من خلال الحوار والمناقشة، راسخة في ذهن الطالب يسهل عليه استحضارها حين يشاء، وتمكنه من الاستفادة من الآخر من خلال الأخذ والرد، وكذلك تمكنه من تصحيح الأخطاء والأفهام المغلوطة عن بعض المسائل الفقهية –وما أكثرها في صفوف الطلاب– لأن الحوار يكشف عن التمثلات الخاطئة التي لا يمكن الوصول إليها قصد تصحيحها إلا من خلاله.

ولتحقيق هذه الأهداف في الدرس الفقهي لابد من مراعاة الضوابط التالية:

- ✓ التخطيط والإعداد الجيد لدرس من قبل المدرس، لأنه قد يكون من السهل على المعلم أن يبدأ الدرس بالحوار والمناقشة، ولكن يصعب عليه الاستمرار ما لم يكن قد أعد للأمر عدته.
- ✓ أن يكون الأستاذ قادرا على إدارة الحوار بين جماعة الفصل، من أجل الوصول إلى الأهداف المنشودة منه وتجنب الجدل العقيم.
- ✓ أن يقدم المدرس في بداية الدرس صورة عامة عن موضوع الدرس المراد مناقشته.
- ✓ تشجيع المتعلمين على المشاركة والحوار، والعمل بمشروعية الخطإ.
- ✓ تلخيص وتدوين ما تم الاتفاق عليه قبل الانتقال إلى قضية أو مسألة فقهية أخرى.

✷ **ثالثا: الطريقة الاستنباطية في تدريس الفقه.**

إن الطريقة الاستنباطية طريقة ينتقل فيها المدرس من العام إلى الخاص، ومن الكليات إلى الجزئيات بشكل تدريجي من السهل إلى الصعب. وتعتبر هذه الطريقة من أنجع الطرق التي يمكن من خلالها الوصول إلى تكوين وتخريج المجتهدين من المؤسسات الجامعية، لأن هذه الطريقة تستبعد فكرة جاهزية الفقه، وتعود بالطالب إلى مصادر المعرفة الفقهية "النصوص الشرعية " أي مركزية النص الشرعي، قصد ضبطه والتثبت من صحته وفهمه، وتفسيره، وتحليل

بنيته اللغوية و...لاستخلاص المعاني واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وتطبيق تلك الأحكام على النوازل المستحدثة، لأنه رغم الدراسات الفقهية السابقة للنصوص الشرعية، فإنها لم تبح بكل مكنوناتها من الأحكام وهذا دليل على صفة الإعجاز التي تجعل استنباط الحكم مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن أهم ما تتميز به هذه الطريقة؛ أن مدرس الفقه لا يقرر مسائله وقضاياه منذ بداية الدرس ويلقيها للطالب ثم يتبعها بالشرح فحسب، بل يدرب الطالب على الوصول إلى هذه الأحكام بنفسه بعد إلمامه بعلوم الوسائل التي تساعده على فقه النص الشرعي. كما أن التدريس وفق هذه الطريقة ينمي لدى الطالب مهارات القدرة على تحليل النصوص الشرعية، وتفكيك بنيتها، واستثمار قواعد أصول الفقه والحديث واللغة في استنباط الأحكام، وهذه المهارات من أهم ما يفتقر إليه خريجو المؤسسات الجامعية.

ومن مزايا هذه الطريقة أنها تعود الطالب منذ بداية الطلب على الاستقلال الفكري وتكوين شخصية الباحث لأنها تزوده بالمعارف الضرورية وتدله على طريق الاجتهاد والاستنباط. وبالتالي فإن هذه الطريقة تجعل المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية لأنها تركز عليه.

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن هذه الطريقة لها دور فعال في تحقيق الأهداف المرجوة من تدريس الفقه، والتي من أبرزها تخريج الطالب القادر على استنباط الأحكام من النصوص الشرعية.

فلتدريس علم الفرائض–مثلا– اعتقد أنه عِوض الرجوع بالطالب إلى كتب ومجلدات للفقهاء السابقين قصد حفظها، واستيعابها، و...فإنه يمكن الاقتصار على الآيات الثلاث من سورة النساء ﴿يوصيكم الله في أولادكم ..﴾ [النساء:11] ، وقوله تعالى:﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد...﴾ [النساء:12] ،وكذلك الآية الأخيرة من سورة النساء، وهي قوله تعالى:﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة... ﴾[النساء:175]، لأن دراسة هذه الآيات الثلاث وتفسيرها وتحليلها واستنباط ما فيها من أحكام، كاف لتكوين صورة أو تصور واضح عن هذا العلم لدى الطالب، صحيح أن هذا لا يغني عن الرجوع إلى المؤلفات الفقهية قصد الوقوف عند دقائق هذا العلم وجزئياته، لكن على الأقل تشكل لديه تصور عام عن هذا العلم، ويترسخ لديه ذلك لأنه استنبطه وتوصل إليه وحده بمعية استاذه على خلاف لو أنه شرع في الجزئيات والتفاصيل منذ البداية وقدم له ذلك جاهزا– كما هو الأمر في أغلب مؤسسات التعليم العتيق ببلادنا– فيعتقد الطالب أن هذه العلم من أصعب العلوم، وربما ذلك يمنعه من مواصلة المسير، فيغير الطريق أو الوجهة صوب علم آخر–هذا في أحسن الأحوال —، السبب في ذلك طريقة الشرح والتقديم أي طريقة التدريس، لأن الكثير من المدرسين يدرسون وفق طريقة التأليف لا يخرجون عنها قيد أنملة، وذلك راجع لعدة عوامل من أبرزها عدم درايتهم بطرائق التدريس فترتب عنه اعتماد الطريقة الوحيدة في التدريس.

ولتدريس فرائض الوضوء للطالب فبدل أن يلزم بحفظ متن من المتون –كمتن ابن عاشر– يقضي في ذلك وقتا طويلا، يمكن للمدرس أن يختصر له الطريق وينطلق به في تدريس فرائض الوضوء من نص شرعي معلوم لدى الطالب من قبل، وهو قول الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**...﴾ [المائدة:7]، فبعد قراءة النص القرآني، وتفسيره وتحليله، واستخلاص ما تضمنه من معاني، يستطيع الطالب وحده استخراج واستنباط فرائض الوضوء من الآية القرآنية والتي تكون في الغالب على الشكل التالي:

- ﴿يأيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة.....﴾ ⟸ النية.
- ﴿...فاغسلوا.....﴾ ⟸ الدلك.
- ﴿....وجوهكم.....﴾ ⟸ غسل الوجه.
- ﴿...وأيديكم إلى المرافق.....﴾ ⟸ غسل اليدين إلى المرفقين.
- ﴿...وامسحوا برؤوسكم .....﴾ ⟸ مسح الرأس.
- ﴿...وأرجلكم إلى الكعبين.....﴾ ⟸ غسل الرجلين إلى الكعبين.
- ﴿وجوهكم ..و..و...وأرجلكم .....﴾ ⟸ الفور.

إن اعتماد هذه الطريقة في استخراج واستنباط فرائض الوضوء من النص القرآني، يضمن بقاءها لدى الطالب لمدة أطول، ويجعل استحضارها في أي وقت أمرا يسيرا بالمقارنة مع لو أنها قدمت له جاهزة، كما يحرره من حفظ العديد من المتون التي تتطلب وقتا طويلا في الحفظ وفي الشرح والتفسير بعد ذلك، وقس على ذلك العديد من المسائل الفقهية التي يمكن تدريسها بهذه الطريقة.

✷ رابعا: الطريقة العملية في تدريس الفقه.

لقد سبق أن أشرت أن الفقه الإسلامي يعنى بالجوانب العملية التطبيقية والممارسة الواقعية للأحكام، وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن فهم واستيعاب العديد من القضايا والمسائل الفقهية سواء في العبادات أو المعاملات أو غيرهما من المجالات إلا من خلال الطريقة العملية التي تعتبر طريقة فعالة في تعلم الإتقان المهاري، لذا كان من الضروري أن يدخل التدريب العملي في مناهج الدراسات الفقهية، لتكون استجابة الطلاب سريعة، ووصولهم إلى المقصود مباشرا، هذا فضلا عن كون هذه الطريقة تولد لدى الطلاب عنصر التشويق الذي افتقد إليه الدرس الفقهي في الجامعات، حيث ما زال يدرس بنفس الطريقة التي كان عليها منذ سنوات، كما أنها تشجع المتعلم على الاستيعاب ومحاولة

القيام بمثل ما قام به أستاذه، لأن العلم المجرد لا يفيد إلا إذا اقترن بالعمل، قال الله تعالى:﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40)** ﴾[النجم:39. 40].

إن هذه الطريقة قد أشار إليها القرآن الكريم، واعتمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين الصلاة، وسائر العبادات، ومن أبرز آثارها أنها تجعل الأمر النظري المعالج واضحا كل الوضوح أمام المتعلمين، حيث تنقله من المستوى الفكري النظري إلى المستوى الواقعي العملي، وهذه الترجمة العملية للفقه تزيل التصور القائم على أن الفقه معلومات نظرية جاهزة، وترسخ لدى الطالب أن العمل والممارسة من أهم الأسس التي يقوم عليها الفقه وتجعل هذا الأخير مرتبطا بواقع وحياة الطالب اليومية.

لذلك، فلتعليم المتعلم كيفية الوضوء أو التيمم أو الصلاة وغيرها من العبادات فبدل أن تقدم له على شكل معلومات نظرية مجردة، ينبغي أن تقدم له بشكل عملي ويتمرن على ذلك أمام أستاذه وأصدقاءه، وهذه الطريقة لا تقتصر على هذه العبادات فحسب، بل يمكن أن تشمل سائر الأبواب الفقهية الأخرى شريطة مناسبة التطبيق أو التدريب للباب الفقهي المدروس.

ولأجل تحقيق هذا الهدف أي ارتباط الفقه بالواقع والممارسة العملية، ينبغي فسح المجال للطلاب ليمارسوا بعض التداريب العملية خارج أسوار الجامعات، وفيما يلي بعض المؤسسات التي يمكن أن تكون مجالا للتطبيق العملي لبعض المسائل الفقهية:

- دراسة المعاملات المالية، وصور البيع المعاصرة .... الأبناك والمؤسسات المالية.
- دراسة فقه الأسرة ... مؤسسات القضاء والمحاكم.
- دراسة بعض الإشكالات الشرعية... المجالس العلمية، وزارة الأوقاف.

ولتحقيق هذا الهدف ينبغي أن يكون هناك تنسيق بين المؤسسات الجامعية وهذه المؤسسات، وترتيب لهذه الأبواب حسب السنوات الجامعية، بشكل متدرج وحسب أهميتها وحاجات الطالب إليها.

إن تنقل الطالب بين المعاهد، والكليات، والمؤسسات، للتطبيق العملي للقضايا الفقهية يجعله يحس أن الفقه واقع معيش، ويحفزه على معرفة المزيد، ويرسخ لديه واقعية الشريعة الإسلامية، لكن هذا الأمر يحتاج إلى تضافر الجهود بين الجهات المعنية، وتخطيط محكم، وإجراءات إدارية وقانونية تنظيمية، وإرادة حقيقية لإصلاح المنظومة التعليمية.

✷ **خامسا: طريقة التعلم بالأحداث في تدريس الفقه.**

إن هذه الطريقة تقوم على استغلال المدرس لحدث معين لإعطاء توجيه معين، ومما هو معلوم أن كل حدث يتعرض له الفرد يحدث له تأثير في نفسه، وبالتالي فإن استغلال الأحداث من لدن المربين تعد فرصة جيدة لتوجيه النفوس، وصقلها، وتهذيبها.

وتمتاز هذه الطريقة عن غيرها، بكونها أداة فعالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين–وهذا ما تدعو إليه النظريات التربوية–، وتجعلهم يتشوقون للعملية التربوية، فيكون من نتائج ذلك بقاء أثر التعليم مدة طويلة في ذهن المتعلم، وسهولة استرجاعه عند الحاجة إليه.

والعملية التعليمية التعلمية يجب أن لا تنقطع عما يدور حولها من الأحداث والقضايا، والمربي الناجح هو الذي يستغل الأحداث التي تقع بسبب تصرفات الناس، أو لأسباب خارجة عن إرادتهم، أو تكون منظمة ومخطط لها مسبقا يمر الناس بها على اختلاف أعمارهم قصد إثارة مشاعرهم وتحريك عواطفهم، حتى يغير سلوكهم في الاتجاه المرغوب. وقد استغل القرآن الكريم والسنة النبوية الأحداث في تربية الأمة الإسلامية، فكانت الأمة الفريدة في التاريخ، بل إن القرآن نزل منجماً حسب الأحداث التي واجهت المسلمين ليربي الرعيل الأول تربية صحيحة ومتدرجة، وكل رعيل بعده يستفيد من العلاج الرباني لكل حادثة، من خلال القياس، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما أن التربية بالأحداث تودي إلى عرض الأوضاع التي لها مساس بواقع المتعلم، وتشجيع المعلمين والمتعلمين على فهم التغيرات السريعة في العالم.

من هذا المنطلق فإن مدرس الفقه مطالب باستغلال القضايا والوقائع والأحداث التي تعيشها الفئة المستهدفة قصد بيان أحكام الشرع المتعلقة بها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، فيشعر الطالب أن هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، وأن مادة الفقه واقعية عملية تعالج قضايا الناس ومسائلهم الغير المتناهية، الأمر الذي يحفزهم على المتابعة، ومعرفة المزيد، ويرسخ لديهم هذه المكتسبات.

ومن جهة أخرى فإن أبواب الفقه المعروفة في الكتب الفقهية يمكن تقديمها وتأخيرها حسب الفترة الزمنية من السنة، ليكون لها وقع كبير على نفوس الفئة المستهدفة، وتترسخ لديهم تلك المكتسبات، لذا فمن الأفضل أن تدرس الموضوعات التالية في هذه الفترات الزمنية كما هو مبين أسفله:

- فقه الصيام ⟸ في شهر رمضان.
- زكاة الفطر ⟸ في آخر رمضان.
- فقه الحج ⟸ في أشهر الحج.

– فقه الزكاة ⟵ في موسم الجني أو الحصاد أو نهاية السنة الهجرية.

هذا الربط بين هذه الدروس وهذه الأحداث قد يكون من اجتهاد المدرس، لكن الأولى أن يكون مخططا له من قبل الوزارة الوصية، ومن واضعي البرامج ، كما تجدر الإشارة أنه ينبغي على واضعي البرامج أن يتركوا مساحات في الكتب المدرسية تعالج الأحداث التي مضت، وتضع خطة منهجية لمعالجة الأحداث التي ستقع، لأن المنهاج الناجح هو الذي يخطط للأحداث وينظمها بحيث يمر بها المتعلم، وكأنها أحداث تلقائية فينفعل بها ويتأثر، وهنا يستغل المربي ذلك في عملية التوجيه والإرشاد ؛أي أن التدريس بهذه الطريقة يحتاج إلى تخطيط دقيق للأحداث، لأن المربي لا يستطيع أن يفتعل الأحداث كلها، فهي تجري بقدر الله، ولكن المنهاج عليه أن ينتهز الفرص المناسبة ليلقي دروسه التربوية في الأحداث التي تقع ،والتي يرى أنها صالحة للتوجيه التربوي المناسب.

✷ سادسا: طريقة حل المشكلات في تدريس الفقه.

تقوم هذه الطريقة على وجود مشكلة معقولة أمام المتعلمين، يعملون على إيجاد حل لها بالطريقة العلمية؛ أي أنها وضع الطالب أمام مشكلة واقعية تدفعه للبحث عن الحل المناسب لها باستغلال قواه العقلية ومكتسباته السابقة.

وتكمن أهمية طريقة حل المشكلات في التدريس، في كون حياة الإنسان عموما والطالب على وجه الخصوص لا تخلو من مشاكل، وبالتالي فطبيعة الحياة نفسها تتطلب مقابلة مشكلات والعمل على حلها، وحياة المتعلم مليئة بالمشكلات المعرفية، والنفسية، والاجتماعية، والمالية...سواء في علاقته مع أسرته أو أصدقائه أو مدرسه...، والنجاح في إيجاد الحل المناسب لما يعترض سبيله رهين بالتمرن على أسلوب التفكير العلمي الذي يساعده على إيجاد الحلول لمشكلات الحياة.

إن مما يساهم بشكل كبير في تدريب المتعلم على هذا الأسلوب، هو صياغة المقررات الدراسية في صورة مشكلات واقعية، مما يعني بالضرورة اتباع طريقة حل المشكلات في التدريس.

وفي مجال العلوم الشرعية عموما، ومادة الفقه على وجه الخصوص، فإن العديد من الدروس الفقهية يمكن أن تدرس بهذه الطريقة، حيث يمكن الانطلاق من مشكلة واقعية يعيشها المتعلم شريطة أن يحقق جوابها أو حلها، الهدف أو الأهداف الأساسية من الدرس. فهذه الطريقة تجعل المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية، والمشكلة نابعة من الواقع، وحلها يكون بالتفكير العلمي واستثمار المكتسبات السابقة، ودور المدرس يقتصر على التوجيه والإرشاد إلى الحل الصحيح.

ويمكن لمدرس الفقه أن ينطلق من مشكلات اجتماعية لها علاقة بالباب الفقهي المدروس عوض أن تقدم المعلومات والمعارف جاهزة لا يبذل المتعلم في تحصيلها أدنى جهد، ومن المشكلات التي يمكن الانطلاق منها في الدرس الفقهي ما يلي:

-العزوف عن الزواج – غلاء المهور– ارتكاب فاحشة الزنا...⇐ لتدريس موضوع الزواج.

– مشكلة الفقر؟ – التفاوت الطبقي– ظاهرة التسول..⇐ لتدريس موضوع الزكاة.

-التعامل مع المؤسسات البنكية– كيفية التصرف في المال...⇐ لتدريس فقه الأموال.

إن الانطلاق في الدرس الفقهي من مشكلات نابعة من واقع المتعلم، ولها معنى وأهمية في المجتمع، ينمي لدى المتعلم القدرة على التفكير العقلي، ويدفعه إلى المشاركة البناءة في اكتشاف الحقائق والبحث عن حلولها، كما ينمي لديه الميل لتقبل رأي الآخر الذي يختلف معه، كما يساعده على الاحتفاظ بالمعلومة لمدة أطول، والقدرة على إيجاد الحل لما يواجهه من مشكلات الحياة.

ومن أهم مزايا هذه الطريقة في الدرس الفقهي استشعار أو اقتناع الطالب بقدرة الفقه الإسلامي على معالجة مشكلات المجتمع المتغيرة، وذلك من خلال الأجوبة والحلول التي يقدمها لما جد وتطور في واقع الناس.

✷ **سابعا: الطريقة الاستقرائية في تدريس الفقه.**

إن الطريقة الاستقرائية في التدريس تقوم على تتبع جزئيات الدرس، وأمثلته، ومعلوماته للوصول إلى خلاصات عامة، فيها يقوم المعلّم باستخراج المعلومات من المتعلّمين من خلال استثارة قدراتهم التفكيريّة بأسئلة متسلسلة، أو أمثلة متنوّعة، أو أدلّة متتابعة بحيث تنتهي بالمعرفة المراد تعريف المتعلّمين بها. وهي طريقة تتطلّب تحليلًا دقيقا للحقائق والمعارف الموجودة في المحتوى، لتحضير أسئلة مناسبة أو أمثلة محكمة وأدلّة مناسبة، كما تتطلّب متابعة دقيقة لمشاركة المتعلّمين وتوجيه ذكيّ نحو المعرفة المطلوب استخلاصها، وبالتالي فهي طريقة تقود المتعلم إلى معرفة الحقائق والأحكام العامة عن طريق البحث والاستقراء، يبحث فيها عن الجزئيات أولا للوصول إلى قاعدة عامة، فهي تعود المتعلم الصبر والاعتماد على النفس في البحث عن المعلومة وتحصيل العلم.

وفي الدرس الفقهي يمكن اعتماد هذه الطريقة في تعلم المفاهيم الفقهية، فالمعلم عند تدريسه ينبغي عليه تجنب البدء بالتعريفات الفقهية، لأن التعريفات عبارة عن مفاهيم مستخلصة من الأمثلة الكثيرة بل الأفضل البدء بالأمثلة التي يمكن أن يدركها الطلاب، فيتوصلوا إلى المفهوم" كالزكاة والصيام..." من خلال الأمثلة أو يعرضه عليهم وقد أدركوه من خلالها.

كما ينبغي على مدرس الفقه أن لا يبدأ بعرض الحكمة من التشريع قبل أن يبين التشريع نفسه ؛ لأن توصل المتعلم بنفسه إلى معرفة الحكمة من التشريع عملية أعمق بكثير من مجرد معرفة التشريع، فعلى سبيل المثال في درس الحج عندما يدرك المتعلم أن زمان الاجتماع واحد، ومكان الاجتماع واحد، واللباس واحد، والهدف واحد، وتساوي الجميع في المناسك، و... ، فعند استقرائه وتتبعه لهذه التشريعات والمناسك، يستشعر بنفسه أن من مقاصد الحج التذكير بالوقوف بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، وأن هذا الدين يقوم على مبدإ المساواة بين الناس. فالطريقة الاستقرائية تبنى على إعطاء المتعلم عدداً كافياً من الأمثلة الخاصة يمكنه من التوصل إلى قاعدة عامة أو مبدأ عام، وتقوم على أساس تقديم مجموعة من الحقائق أو الأشياء بينها خصائص مشتركة ويبدأ المتعلم في البحث عن أوجه التشابه والاختلاف بينها وعن طريق عملية التجريد يتوصل إلى المفهوم.

كما يمكن اعتماد هذه الطريقة في تدريس القواعد الفقهية، فبدل أن تقدم جاهزة للطالب يقدم له أستاذه مجموعة من النصوص الشرعية ويطلب منه بعد ذلك تتبعها، واستقرائها، واستخراج المعنى الجامع بينها، فيتتبعها الطالب بتوجيه وإرشاد من الأستاذ قصد التوصل إلى المعنى الكلي الجامع بينها، ومن ذلك على سبيل المثال النصوص التالية:

1-قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...**﴾[البقرة:183].

2-قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[المائدة:4].

3-قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ..**﴾ [النحل:106].

فبعد تأمل هذه النصوص وتتبعها من طرف الطالب –وهي كثيرة في هذا الموضوع- لا شك أنه سيتوصل إلى المضامين التالية:

- ✓ في النص القرآني الأول أباح الله سبحانه وتعالى الإفطار في رمضان للمريض والمسافر نظرا للمشقة الملازمة للمرض والسفر.
- ✓ وفي النص الثاني أباح الله عز وجل أكل الميتة للمضطر بالقدر الذي يدفع به الهلاك عن نفسه.
- ✓ وفي النص الثالث أباح الله سبحانه وتعالى التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه، والقلب مطمئن بالإيمان.

⇦ يستخلص الطالب أن المرض، والسفر، والاضطرار، والإكراه أمور عارضة، ومشاق لما دخلت على المكلف أزالت الحكم الأصلي (-وجوب الصيام –تحريم أكل الميتة –تحريم الكفر) وأبدل بحكم آخر فيه تيسير وتخفيف من الله بعباده، أي أن هذه المشقات كانت سببا في هذا التيسير، وهذا الاستنتاج المتوصل إليه عن طريق الاستقراء هو قاعدة فقهية، وهي: **المشقة تجلب التيسير**.

فالفرق بيّنٌ وواضح بين تقديمها بالطريقة الاستقرائية، وتقديمها له جاهزة دون بدل أي جهد. وقس على هذا العديد من القواعد والأبواب الفقهية التي يمكن تدريسها بهذه الطريقة.

✷ **ثامنا: طريقة العصف الذهني في تدريس الفقه.**

تهدف هذه الطريقة إلى توليد وإنتاج أفكار، وآراء إبداعية من الأفراد والمجموعات لحل مشكلة معينة، بحيث يتاح للفرد جو من الحرية يسمح بظهور كل الآراء والأفكار، أي أنها تستخدم من أجل توليد أكبر عدد من الأفكار للمشاركين في حل مشكلة مفتوحة خلال فترة زمنية محددة في جو تسوده الحرية والأمان في طرح الأفكار بعيداً عن المصادرة والتقييم أو النقد، لأنه بالقدر الذي يتمكن فيه الفرد من توليد أفكار جديدة، وبدائل مختلفة يكون قراره أقرب إلى الصواب وأكثر صدقا وموضوعية، حيث يتم النظر من زوايا متعددة وجوانب مختلفة تطوق المشكلة وتعمل على تحليلها من كل الجوانب، إن هذه الطريقة ترسخ لدى المتعلم أنه ليس لكل مسألة جواب واحد ،كما أنه ليس لكل مشكلة حل واحد، أي تجاوز الفكر الأحادي الذي يقوم على الحل الواحد في تفسيره وتعليله للظواهر الإنسانية و...، وهذا يتعارض مع أصول التفكير الإسلامي الصحيح، ونحن في هذا الموضوع؛ أي "بيان أثر طريقة العصف الذهني في تدريس الفقه"، فإن الفقه يعد من أكبر الشواهد على اعتماد هذه الطريقة بما يتضمن من قواعد شرعية كلية تمّ التوصل إليها بعد استيفاء جميع شروط البحث العلمي القائم على اعتبار جميع الأسباب، واستقراء الجزئيات، وابتكار الحلول والبدائل المختلفة، ودراستها، وتحليلها، وتركيبها، وصولا إلى القاعدة والاستنتاج الصائب والصحيح. وما تعدد المدارس والمذاهب الفقهية التي اقترحت حلولا وبدائل متعددة للمشكلات والقضايا الفقهية والاجتماعية والسياسية ...أكبر دليل على تجاوز حبس الفكر، ومنع التأمل، وتجاوز الفكر القائم على الحل الواحد، والإجابة الواحدة.

ومما يبين أهمية طريقة العصف الذهني في تنمية التفكير الإبداعي وحل المشكلات لدى المتعلمين، أنها تتسم بإطلاق العنان لأفكار المتعلمين دون تقييم، وذلك لأن انتقاد الأفكار أو الإسراف في تقييمها خاصة عند بداية ظهورها قد يؤديان إلى خوف الشخص أو إلى اهتمامه بالكيف أكثر من الكم فيبطئ تفكيره وتنخفض نسبة الأفكار المبدعة لديه.

والنجاح في الوصول إلى حلول جديدة للمشكلات المطروحة باعتماد هذه الطريقة، يقتضي أن يكون مدرس الفقه على علم بهذه الطريقة، كي يكون قادرا على تحقيق أهدافها، وهذا يستلزم إعادة تأهيل وتكوين المدرسين ليصبحوا قادرين على التدريس الفعال الذي يتلاءم مع التطورات المعاصرة وخاصة في مجال تعليم التفكير، وتنميته عند المتعلمين.

وفي مجال الفقه دائما، فإن المدرس يمكنه اعتماد هذه الطريقة في تدريس فقه النوازل أو الفقه المقارن أو الإشكالات الفقهية المعاصرة، في مستوى التعليم العالي، والتي يكون جوابها أو حلها متنوعا ومتعددا من بين الآراء المقترحة من طرف طلاب العلم.

ففي الدرس الفقهي يمكن للمدرس اعتماد هذه الطريقة، وذلك من خلال عرض قضية من القضايا الفقهية المعاصرة أو مشكلة من المشكلات الفقهية لها علاقة بالباب الفقهي موضوع الدراسة، كالتعامل مع البنوك والعمل فيها، أو التشريح، أو التلقيح الاصطناعي، أو استخدام وسائل تحديد وتنظيم النسل، أو بيع الأعضاء، أو عمليات الذبح الآلي ...إذ لاشك أن هذه المشكلات يمكن ربطها بباب من الأبواب الفقهية المعروفة، وما دام أن المدرس قد انطلق من واقع الطالب أو المتعلم، سيحدث ذلك رغبة لدى المتعلم لمعرفة حكم الشرع فيها، فيدفعه ذلك – انطلاقا من مكتسباته السابقة– إلى التفكير، واقتراح مجموعة من الحلول والأجوبة —مع ضرورة توفير الوقت الكافي– لذلك، فيعمل المدرس على تركيزها واختصاره وتدوينها سواء كانت صحيحة أو خاطئة دون نقد أو تقييم، وعندما يوشك معين الأفكار أن ينضب لدى الطلاب، يمكن للأستاذ أن يدعو المشاركين إلى اختيار أغرب الأفكار المطروحة وأكثرها بعداً عن الأفكار الواردة في الموضوع، وفي المقابل يطلب منهم أن يختاروا الأفكار التي يمكن أن تكون حلولا مناسبة للقضية الفقهية المدروسة مع الاستدلال عليها بما يناسب من الأدلة الشرعية والعقلية. ومن ثم فإن مهمة الطالب وَفْق هذه الطريقة لا تقتصر على إنتاج أفكار خاصة به، بل تتعدى ذلك إلى ضرورة التفكير في كيفية تحسين وتعديل أفكار الآخرين، والاستفادة منها في حل المشكلة، كما أن التعاون بين الطلاب، وتشجيع المدرس، وإضفاء روح الفكاهة على الموقف التعليمي يوفر مناخا خصبا لعملية التفكير ألابتكاري. إنها في الحقيقة طريقة مهمة ورائعة يفتقد إليها الدرس الفقهي في المؤسسات الجامعية، لأنه غالبا ما يدرس بالطريقة الإلقائية، وارتباطا بالمشكلات القديمة التي سبقت معالجتها من قبل، كما أنه لا تتاح الفرصة للطالب لإبداء وتقديم رأيه واقتراحه، وإذا أتيحت له الفرصة فإنه يتعرض للنقد والتقييم من طرف مدرسه أولا، ومن طرف زملاءه ثانيا، فيمنعه ذلك من المشاركة مرة أخرى، لكل هذا فإن تدريس العلوم الشرعية عموما وتدريس الفقه على وجه الخصوص في أمس الحاجة إلى مثل هذه الطرائق التي أشار إليها القرآن الكريم، واعتمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

✷ تاسعا: الطريقة التجريبية في تدريس الفقه.

تقوم الطريقة التجريبية على خطوات المنهج التجريبي، وهي: **الملاحظة**، و**الفرضية**، و**التجربة**، ثم **الاستنتاج**. وقد أشار إليها القرآن الكريم في العديد من الآيات، وكذلك السنة النبوية في كثير من الأحاديث النبوية، وتهدف

هذه الطريقة إلى إكساب المتعلم خبرة ذاتية مباشرة، وذلك عن طريق انخراطه في الموقف التعليمي بشكل مباشر تحت إشراف المدرس، وتتخذ عدة أشكال وأوجه، منها:

"- **طريقة التجريب في المختبر العلمي**: وفيها يقوم المتعلم بالتجربة أو المهارة وكأنه في الواقع العملي. إلا أن التجريب في المختبر يكون **أكثر** ضبطا من الواقع العملي، **واقل** تطابقا من ناحية أخرى.

- **التجريب في الموقع الزائف**: وفيه يقوم المتعلم بأداء الخطوات المراد تعلمها في موقف زائف قريب من الموقف الحقيقي الواقعي، وذلك تجنبا للخطر الذي قد ينجم عن الانخراط الفعلي في هذه الخطوات، كما يحدث لدى تدريب الأطباء، أو الممرضين أو(تدريب الطلبة الأساتذة في التعليم المصغر داخل مراكز التكوين)، أو....

- **التجريب في الميدان الواقعي**: وفيه ينخرط المتعلم في الميدان الواقعي العملي، لاكتساب خبرة تعليمية مباشرة، أو مهارة محددة، كالعمل في المستشفيات، أو مؤسسات الخدمة المجتمعية. وقد يقوم المتعلم في هذه الطريقة بأداء تجربة، أو تطبيق استبيان، أو إجراء مقابلة، أو دراسة حالة مرضيّة، أو مراقبة سلوك مجموعات معينة ...الخ، ويطلب منه المعلم هنا كتابة تقرير عمّا لاحظ وشاهد وعمل.

-**طريقة تقمص الأدوار**: وفيها يقوم المتعلم بتمثيل الدور المتوقع منه وأداء المسؤولية الملقاة على عاتقه عن طريق الانخراط المباشر في الموقف العملي والتفاعل مع الآخرين وتقمص أدوارهم، كأن يقوم بدور المعلم كما هو الشأن بالنسبة (للطلبة الأساتذة بمراكز التكوين في مرحلة التحمل الكلي لمسؤولية التدريس بالمؤسسات التعليمية)، أو القائد أو العامل، أو المسؤول، أو الأب، أو الأم، أو الابن، إلى غير ذلك من الأدوار الاجتماعية"[21].

هذا، ويمكن الاستفادة من هذه الطريقة في تدريس العلوم الشرعية وذلك من خلال تقديم العديد من المعارف والحقائق العلمية التي أقرها الشرع الإسلامي في كتاب الله، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو اجتهادات العلماء، وتتصل بعلم من العلوم الشرعية للطلبة أو المتعلمين كخطوة أولى، ثم إجراء تجارب علمية لإثباتها للفئة المستهدفة قصد ترسيخها في الأذهان، وبيان أنه لا تعارض بين حقائق الشرع ونتائج المنهج العلمي التجريبي.

وبالمثال يتضح المقال، ففي قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[النساء:55]، فمن الحقائق التي تتضمنها هذه الآية هي:

- ✓ **أن الجلد مركز الإحساس في الجسم لأنه يحتوي على أطراف الأعصاب... فإذا نضج الجلد فقدَ الإنسان الإحساس، لذلك يعاقب الله سبحانه وتعالى يوم القيامة الكفار وأهل النار بتبديل جلودهم مرات ومرات حتى لا يفقدوا الإحساس.**

فهذه الحقيقة القرآنية لترسيخها لدى المتعلمين لا يكفي لذلك تقديمها في قالب جاهز، بل لابد أن يقوم المدرس بإجراء تجربة حقيقية واقعية أمام المتعلمين بمختبر المؤسسة- على أحد المتعلمين أو على بعض الحيوانات- ويحرص على مشاركتهم في ذلك.

لا شك أن هذه الحقيقة التي أقرها القرآن الكريم وأثبتتها التجربة العلمية -التي قام بها المتعلم أو شارك فيها تحت إشراف معلمه- لن تزول من ذهنه أبدا.

وفي مجال الدرس الفقهي فإن المدرس بإمكانه أن يثبت ويؤكد للمتعلمين العديد من القضايا الفقهية بالطريقة التجريبية التي تركز على محورية المتعلم، وضرورة مشاركته في العملية التعليمية التعلمية، ومن القضايا الفقهية التي يمكن أن تدرس بالطريقة التجريبية على سبيل المثال ما يلي:

-في موضوع الطهارة، ليبين للمتعلمين طهارة التراب ونجاسة لعاب الكلب يمكن أن يستدل على ذلك بالحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرّات أولاهنّ بالتراب)**[22].

فالمدرس يمكن أن يتوصل بمعية المتعلمين وانطلاقا من هذا الحديث إلى ما يلي:

- ضرورة تطهير الإناء الذي ولغ فيه الكلب بغسله سبع مرات أولها بالتراب.

- أن التراب يحتوي على مادة مطهرة، وأن لعاب الكلب يحتوي عوامل ممرضة ولا يمكن تطهيره إلا بغسله بالماء والتراب.

هذه الخلاصات والاستنتاجات لا تتعارض مع ما أثبتته التجارب العلمية، حيث ثبت علمياً أن الكلب يحمل عدداً من البكتريا والفيروسات في لعابه، ولا يمكن تطهير الإناء الذي شرب منه الكلب إلا بغسله عدة مرات بالماء ومرة بالتراب، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أشار إلى هذه الحقيقة العلمية بقوله: (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرّات أولاهنّ بالتراب)[23].

هذا كله كلام وتوضيح نظري، لكن ترسيخ هذه التعلمات والحقائق في أذهان المتعلمين يقتضي أو يتطلب تجربة بسيطة؛ حيث يمكن للمدرس أن يكلف المتعلمين بإحضار قليل من التراب إلى قاعة المختبر، ويتكلف المدرس بإحضار لعاب الكلب، بعد ذلك ينظر المتعلمون إلى مكونات التراب بالمجهر، وينظرون إلى لعاب الكلب بالمجهر ليتأكدوا من وجود بكتيريات وجراثيم في لعابه، ثم يضيف المدرس التراب إلى لعاب الكلب- وهم يتابعون- فتكون النتيجة القضاء على جميع الجراثيم والبكتيريات فما يسعهم إلا أن يقولوا: "صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم"، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى من عند الله العليم الحكيم.

هذا مثال توضيحي فقط لهذه الطريقة التي يمكن اعتمادها في قضايا فقهية أخرى: كإجراء فحوصات طبية للمتعلمين في أول رمضان، ثم في آخره كتجربة للبرهنة على فوائد الصيام الصحية إلى غير ذلك من القضايا الفقهية التي يمكن أن تدرس بهذه الطريقة.

وختاما فإن تنويع طرائق التدريس العلوم الشرعية عموما، وتدريس الفقه على وجه الخصوص، والاجتهاد في سبل تنزيلها بما يتلاءم مع طبيعة المادة أو العلم المدرس، وطبيعة الفئة المستهدفة، والأهداف والغايات المنشودة، وزمن التعلم، وكثرة الشواغل...، له أثر إيجابي كبير في اكتساب وتملك الطالب أو المتعلم للمعارف والمهارات والقيم، وحسن توظيفيها في حياته وواقعه المعيش، وفيما يلي أهم الخلاصات التي تم التوصل إليها من خلال هذه الورقة البحثية:

ـ إن اشتمال القرآن الكريم على طرائق عديدة- يصعب إحصاؤها- واعتماد النبي صلى الله عليه وسلم عليها في تربية الصحابة رضوان الله عليهم، يستلزم ويقتضي من المدرس تنويعها في العملية التعليمية التعلمية؛

– ينبغي استحضار حقيقة علم الفقه، الذي يزاوج بين الجانب المعرفي والعملي، في تنويع الطرائق؛

– تنويع طرائق التدريس يمكن من الارتقاء بالدرس الفقهي ليصبح في المستوى الذي يواجه التحديات التي ألمت بالأمة الإسلامية، وذلك من خلال الإجابة عن كل القضايا والنوازل الجديدة؛

– تنويع طرائق التدريس والاجتهاد في سبل تنزيلها، يخلص الطالب من الملل والسآمة، ويجعله يقبل على المادة بشغف وحب لها ولمدرسها.

ـ العديد من الطرائق تركز على مشاركة المتعلم ومحوريته، مما يجعله يستشعر بدوره وأهميته في العملية التعليمية التعلمية

– العديد من طرائق التدريس تركز على ربط الفقه بالواقع مما يجعل الطالب يحس بأن الفقه واقع معاش، فيحفزه ذلك على معرفة المزيد، ويرسخ لديه واقعية الشريعة الإسلامية.

– تنويع الطرائق في تدريس الفقه يجعل الطالب يحس بقدرة الفقه على معالجة مشكلات المجتمع، كما يجعله يصل إلى الحقائق بنفسه ومعتمد على ذاته.

– تنويع الطرائق في تدريس الفقه يجعل الطالب لا يقتصر على إنتاج الأفكار بل يتعدى ذلك إلى ضرورة التفكير وتعديل أفكار الآخرين.

– تنويع الطرائق يرسخ العديد من القضايا الفقهية من خلال إجراء تجارب علمية حقيقية أمام المتعلمين.

إن ما توصلت إليه من خلال هذه الورقة البحثية، يبين بشكل واضح الأهمية البالغة لتنويع طرائق التدريس والاجتهاد في سبل تنزيلها في تدريس العلوم، ويفسح المجال أمام الباحث لتناول باقي عناصر المنهاج" الأهداف .

المحتوى . الوسائل التعليمية . التقويم والدعم..."، وإبراز سبل تنزيلها بما يتلاءم مع طبيعة العلوم، والفئة المستهدفة، وزمن التعلم...، وذلك لبلورة تصور متكامل، يهدف إلى الرقي بالمنظومة التربوية ببلادنا.

الهوامش

[1] . "**لسان العرب**"، لابن منظور. دار إحياء التراث العربي –لبنان– الطبعة الثالثة .1419هـ/1999م ص:220-221- 222، بتصرف.

[2] . "**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**"، "معجم عربي–عربي": للعلامة أحمد بن محمد المقري الفيومي – ط الأولى، دار الحديث– بمصر – بدون سنة الطبع. تصحيح مصطفى السقا. ص: 254.

[3] . "**المعتمد** "(قاموس عربي – عربي)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة:1421هـ/ 2000 م. ص:176.

[4] . "**أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة**"، عبد الفتاح البجة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–عمان، الطبعة الأولى.1420هـ/1999م، ص:10.

[5] . نفس المرجع السابق، ص:10.

[6] . نفس المرج السابق، ص:10.

[7] –"**محاضرات في طرائق التدريس التربية الإسلامية**، د. داود بن درويش حلِّس، الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة،2010م/1431هـ.ص:44-45.

[8] . "**المرجع في كيفية التدريس**"، د. سعيد حليم. سلسلة المنظومة التربوية في المغرب، رقم:2. مطبعة آنفو–برانت، فاس.**2009م**. ص:206.

[9] . "**دليل المعلم العصري في التربية وطرق التدريس**"، د. عبد السلام عبد الله الجقندي. دار قتيبة، دمشق:ط. 1428هـ/2008م. ص:217.

[10] . "**محاضرات في طرائق التدريس التربية الإسلامية**"، د. داود بن درويش حلِّس، الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة،2010م/1431هـ ص:45.

[11] ."**تحضير الدروس اليومية: تنفيذه وخططه المتنوعة في التعلم والتدريس**"، محمد زياد حمدان، دار التربية الحديثة– الأردن، بدون طبعة، سنة 1986، ص:215.

[12] .–" "**معجم مقاييس اللغة**"، لابن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر. ج الرابع، ص: 109-110.

[13] –"**المصباح المنير**"، مرجع سابق، ص: 162.

[14] . "**معجم التعريفات**"، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(816هـ-1413م)، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي –دار الفضيلة– القاهرة 2004. ص130، باب العين، رقم المصطلح 1231.

[15] . "**معجم التعريفات**"، مرجع سابق، ص 108، باب الشين، رقم :1004.

[16] . "**ترتيب العلوم**"، للمرعشي (ت 1145هـ)، تحقيق محمد بن اسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى 1988م/1408هـ، ص:159.

[17] –"**الأحكام في أصول الأحكام**"، لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي، ت. د / سيد الجميلي، دار الكتاب العربي –بيروت. بدون طبعة، سنة: 1404هـ، ج:1، ص:22.

[18] –"طريقة التدريس"، عبد الرحمان صالح.، مرجع سابق، ص: 22.

[19] . "**الموافقات في أصول الشريعة**"، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق وشرح: عبد الله دراز. بيروت، دار الكتب العلمية.(د.ط.ت). ص:67-68.

[20] "**التربية الإسلامية: أصولها وتطورها**"، د. محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة بدون طبعة، سنة: 1998م، ص:48.

[21]–"**طريقة التدريس كيف يجب أن تكون؟**"، للدكتورة نظير أفنان دروزه، ورقة ألقيت في ندوة نصف سنوية عقدت في حديقة مكتبة بليدة نابلس – فلسطين بتاريخ 2009/10/10م، بعنوان: "عملية التعليم في القرن الحادي والعشرين".

[22] – . "**صحيح مسلم** "، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ت)، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، رقم الحديث: 279 – 280، ص: 143

[23]– نفس الحديث ونفس المرجع السابق، نفس الصفحة.